منير البعلبكي

صلاة السادس من تشرين الاول

تبارك اليوم السادس من تشرين الاول وتمجد اسمه بين الايام!

الا وتقدست المخيلات التي نسجت خيوطه ، والعزائم التي نفذت تخطيطه ، وكل يد بشرية او الة ميكانيكية اسهمت فيه !

ربنا زده من لدنك شرفا على شرف ، وفضلا على فضل ، وانزله في ميزان القيمة عندك منزلة يوم بدر ، وليلة القدر ، وموسم النحر !

ربنا واسلكه في عداد اللحظات القدسية التي نذرت لطاعتك ، وكرست لعبادتك ، وتاق فيها الاولياء والقديسون الى ان يكحلوا العين باجتلاء طلعتك !

الا وتقبله منا شهادة ايمان ، وفعل ندامة ، واية تكفير عن كل ما فرط منا طوال خمس وعشرين سنة من تقصير في حقك ، وتقاعس عن نصرتك !

ربنا واحفظه لنا من ختل الخاتلين ، وكيد الكائدين ، وغدر الغادرين ، واجعله في حساب الايام كالف سنة مما يعدون ..

فهو يوم ولادتنا الجديدة ، وانا بيوم ولادتنا الجديدة لضنينون ... -

فيه انبعثنا من المحنة كما ينبعث طائر الفينيكس من الرماد وهو اتم ما يكون شبابا ، وانضر ما يكون اهابا ، منسلخين من ماضينا القريب الذي جعل منا امة تضحك من جهلها الامم ، وتنافس عير الحي والوتد في الذلة والمسكنة وقبول المهانة .

وصل ، يا رب ، وملائكتك الابرار على هذا اليوم المجيد وسلم تسليما كثيرا .

ففيه عدنا رجالا نغزو حين نغزى ، ونغير حين يغار علينا ، ونثار للشرف والكرامة كما يثار الابطال ، ونموت في ميدان الشهادة كما يموت الرجال .. وكنا الى ايام خلت اشباه رجال ولا رجال .. مجرد غرض ، وهدف تسدد اليه النبال يغار علينا فلا نغير ،ويغزونا العدو في عقر دارنا فلا نغزوه، وتسرق اوطاننا كل يوم ، وتدنس مقدساتنا كل ساعة فنكتفي من النضال بان نوسع الصهاينة سبا ، ونكتفي من الجهاد بالتسكع في اروقة الامم المتحدة ، وكواليس مجلس الامن ، ثم نقنع من الغنيمة بالايام !

الا واحمل ، يا بديع السموات ، نباه العظيم الى ارواح مناضلي الارض جميعا ، بيضا كانوا ام سودا ، وعلى ثرى الشرق سقطوا ام على ثرى الغرب !

ففيه اصبح عندنا بنادق تطلق النار ، وطائرات تمحو العار ، ودبابات مشوقة الى ان تكلل هاماتها بالغار ، وكانت كل بنادقنا من قبل عصيا خرساء ، وجميع طائراتنا دمى بلهاء ، ومختلف دباباتنا من ورق مقوى !

الا ولتفرح به قلوب شهدائنا في دير ياسين ، وكفر قاسم ،وبحر البقر ، ففيه انتقمنا لهم جميعا ، مستعيدين امجادنا في القادسية وحطين ، واليرموك وعين جالوت ، وفيه محونا خزي الخامس من حزيران وخزي كل حزيران تلاه ، وكأنما السادس من تشرين الاول ها جاء - سادسا - الا لنسخ - الخامس - من حزيران ، مثلما نسخ ضياء الفجر حلكة الليل البهيم !

الا واسبغ عليه ، يا ذا الاكرام ، جلالا من جلالك ، وجمالا من جمالك ، فهو بهذا كله حقيق وبه جدير !

ففيه جبلنا كل حبة من تراب الوطن السليب بدم الشهداء من ابناء العروبة ، على تنائي الديار وتباعد الاقطار ، فانتصرنا على انفسنا ولم يبق الا ان ننتصر على الاعداء ، وما اهون الانتصار على العدو باذاء الانتصار على الذات !

في اليوم الثامن عشر

لو اراد مؤرخ غربي منصف - ولنفترض انه ارنولد توينبي مثلا - ان يتحدث اليوم عن الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة ، مستبقا نتائجها النهائية ، لكان من المحتمل ان يقول اي شيء يخطر في البال ،او ان يغفل اي شيء يخطر في البال ، ولكن حديثه لن يخلو في اية حال من التوكيد على الحقائق الاتية :

اولا : ان الانسان العربي ولد من جديد في اليوم السادس من تشرين الاول : انتصر على الهزيمة ، وحطم اسطورة « الاسرائيلي الذي لا يقهر » ، وطلع على الدنيا بوجهه الاصيل : الوجه الذي كان عقبة وطارق وصلاح‌الدين نماذج خالدة له .

ثانيا : ان الانسان العربي اعاد الى المؤرخين ايمانهم بنواميس التاريخ ، ومن ابرزها ان الامر الواقع لا يمكن ان يكون بديلا عن الحق ، وان الظلم المدجج بالسلاح اضعف من العدالة العزلاء الا من الايمان ، وان ارادة الشعوب في الحياة الحرة لكريمة قادرة على اجتراح المعجزات ، حتى بعد انقضاء عصر المعجزات .

ثالثا : ان العرب دافعوا عن ترابهم وشرفهم ومستقبل اولادهم كما يدافع الرجال ، وخاضوا (للمرة الاولى) المعركة المفروضة عليهم صفا واحدا ، وبذلك جسدوا الوحدة التي طالما حلموا بها تجسيدا عمليا ، وعمدوها بالدم والنار . ولو فعلوا ذلك من قبل لما عرف التاريخ يوما اسمه اليوم الخامس من حزيران .

رابعا : ان سلاح النفط الذي طالما لوّح اصحاب النفط بوضعه في خدمة المعركة قد وضع ، وللمرة الاولى ، في خدمتها ، فلم يبق على دهاقنة السياسة الاميركية الذين زعموا ان العرب لا يستطيعون ان يشربوا نفطهم وان الدولارات اغلى عندهم من تراب الوطن الا ان يعترفوا بانهم كانوا اكثر حمقا من ناطح الصخر واشد غباء من القابض على الريح (وبين هلالين : لو ان العرب استخدموا هذا السلاح من قبل لما كان الفلسطينيون شعبا بلاوطن، شعبا يعيش في المنفى‌مشتتا في « دياسبورا » دونها تلك «الديوسبورا» التي عرفها الشعب اليهودي منذ اقدم العصور) .

خامسا : ان العالم كله يقف اليوم في صف العرب ، باستثناء دولتين اثنتين : الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية جنوب افريقيا . واذا جاز لجمهورية جنوب افريقيا العنصرية ن تنحاز الى اسرائيل ، لانهما من معدن واحد ، فان المؤرخ لا يستطيع ان يفهم كيف تستطيع دولة عظمى مفروض فيها الدفاع عن القيم الانسانية وميثاق الامم المتحدة ان تنحاز الى من داس كل القيم الانسانية وكل قرارات الامم المتحدة ، وان تلقي بثقلها كله في الميزان، لنصرة قوى الظلام والعنصرية والعدوان . (ترى الا تزال كتب‌التاريخ المدرسية الاميركية تتحدث عن اباء الاستقلال الاميركي من امثال واشنطن وجيفرسون وعن نظرياتهم في الحق والعدالة والحرية وتقرير المصير ، وباية لغة تتحدث ؟) .

سادسا : ان الدول الاسلامية لم تقدم حتى الان شيئا اكثر من الدعم الكلامي للامة العربية . ولو انها انصفت نفسها ، قبل ان تنصف العرب ، لكان لها موقف اخر .. الم يكن في مستطاع ايران - مثلا - ان توقف ضخ النفط الى اسرائيل ، كما اوقف العرب ضخ النفط الى الولايات المتحدة الاميركية ، وعندئذ تتعطل الة الحرب الاسرائيلية وتصبح في ميسور المؤرخ ان يسجل ان الحرب العربية - الاسرائيلية استمرت ثمانية عشر يوما فقط ..